﴿قُلْ إِنِّي نُهِيتُ أَنْ أَعْبُدَ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۚ قُل لَّآ أَتَّبِعُ أَهْوَآءَكُمْ قَدْ ضَلَلْتُ إِذًا وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُهْتَدِينَ ﴿٥٦﴾﴾ [الأنعام: 56]

❁ مُناسَبَةُ الآيَةِ لِمَا قَبْلَها:

يناسبُ ذكرَ سبيلِ المجرمين النّهيُ عنِ التّخلّقِ بأخلاقِهم

بعد أن ذكر سبحانه فيما سلف أنّه يفصّل الآيات؛ ليظهرَ الحقُّ، وليستبين سبيلُ المجرمين، ذكر هنا أنّه نهاه عن سلوك سبيلِهم[1].

ومِن مناسبة الآية، أنّهم لمّا سألوا طردَ الضّعفاء، قصدًا لاتّباع أهوائهم، أمره تعالى بأن يخبرَهم أنّه مباين لهم بعد اتّضاح سبيل المجرمين، مباينةً لا يمكنُ معها اتّباعُ أهوائهم؛ وهي المباينةُ في الدّين فقال: ﴿قُلْ إِنِّي نُهِيتُ﴾[2].

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿نُهِيتُ﴾: النّهي: الزّجرُ عنِ الشّيء[3]، وهو خلاف الأمر، ونَهَيتُهُ عن كذا، فانتَهى عنه، وتَناهى؛ أي: كَفَّ[4]، ﴿إِنِّي نُهِيتُ﴾ نُهيتُ: صُرفتُ وزُجرتُ، بما رُكّب فيّ من أدلّة العقل، وبما أوتيت من أدلّة السّمع عن عبادة ما تعبدون مِن دون اللّه[5].

2) ﴿أَهْوَآءَكُمْ﴾: (هوي) أصلٌ يدلّ على خلوٍّ وسقوط، وكلّ خالٍ هواءٌ، والهَوَى: هَوَى النّفس، والجمع الأهواءُ: ميلُها إلى الشّهوة؛ لأنّه خالٍ من كلّ خير، ويهوي بصاحبه فيما لا ينبغي: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ﴿٣﴾﴾ [النّجم: 3][6]، وقولُه تعالى: ﴿قُل لَّآ أَتَّبِعُ أَهْوَآءَكُمْ﴾؛ أي: لا أتّبعُ ما تميل إليه أنفسُكم من عبادة غيرِ اللّه[7].

(1) الرّازيّ، مفاتيح الغيب: 13/8، وأبو حيّان، البحر المحيط: 4/530، والمراغيّ، تفسير المراغيّ: 7/140.
(2) البقاعيّ، نظم الدّرر: 7/132، وأبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 3/141.
(3) الرّاغب، المفردات: (نهى).
(4) الجوهريّ، الصّحاح: (نهى).
(5) الزّمخشريّ، الكشّاف: 2/30، والبيضاويّ، أنوار التّنزيل: 2/164.
(6) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (هوي)، والجوهريّ، الصّحاح: (هوى)، والسّمين، عمدة الحفّاظ: (هوي).
(7) أبو حيّان، البحر المحيط: 4/530.

3) ﴿ضَلَلْتُ﴾: (ضلّ) أصلٌ يدلّ على ضياع، ضَلَّ يضِلّ: ضاعَ[1]، والضّلال ضدُّ الهُدَى والرَّشاد، بطلانُ العمل وضياعُه، والعدولُ عنِ الطّريق المستقيم، ويُقال لكلّ عدولٍ عنِ المنهج[2]؛ أي: إنِ اتّبعتُ أهواءكم فأنا ضالٌّ[3].

4) ﴿ٱلْمُهْتَدِينَ﴾: (هدي) أصلٌ يدلّ على التّقدّم للإرشاد[4]، والمهتدي مَن هداه الله إلى الحقّ[5]، والاهتداء هو الاستقامةُ على هدى[6]، ﴿وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُهْتَدِينَ﴾؛ أي: لستُ منَ المتّبعين الّذين سلكوا سبيل الهدى إنْ فعلتُ ذلك[7].

❁ المَعْنَى الإِجْمَالِيُّ:

المجاهرةُ بمخالفةِ المشركين، والتّبرّؤُ ممّا يعبدونَ

أمر الله تعالى نبيَّه ﷺ أن يجاهرَ بمخالفة هؤلاء المشركين، وأن يتبرَّأ من عبادتهم غيرَ الله؛ منَ الأوثان والأنداد الّتي لا يستندون في عبادتها إلى حُجّةٍ أو منطقٍ، ولكنّه الهوى والضّلالُ، والرّسولُ ﷺ إنّما كان رسولًا ليُتَّبع، ولا يلتفتَ لأهوائهم، وإنّما يمضي على طريق الله المستقيم الّذي يؤدّي إلى الهداية والرّشاد.

❁ الإيضاحُ اللُّغَويُّ والبَلاغِيُّ:

فائدةُ الأمرِ بالقولِ دونَ النّهي:

الأمرُ بالقولِ للمجاهرةِ، وتلقينُ المقول تأكيدٌ لنصّه ومضمونه

في قوله جلّ شأنُه: ﴿قُلْ إِنِّى نُهِيتُ أَنْ أَعْبُدَ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾، أَمرُ الله تعالى النّبيَّ ﷺ أن يُجاهر المشركين بالبراءة من عبادتهم غيرَ الله[8]، وتلقينُ القَول بمقولٍ ما، دليلٌ على أهمّيّة

(1) الخليل، العين: (ضلل)، والصّاحب، المحيط في اللّغة: (ضلّ)، وابن فارس، مقاييس اللّغة: (ضلّ).
(2) ابن الأثير، النّهاية: (ضلل)، وابن منظور، لسان العرب: (ضلل)، والرّاغب، المفردات: (ضلّ).
(3) الزّمخشريّ، الكشّاف: 2/30.
(4) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (هدي).
(5) ابن منظور، لسان العرب: (هدي).
(6) ابن جرير، جامع البيان: 18/348.
(7) مكّيّ القيسّي، الهداية: 3/2040، والواحديّ، الوجيز، ص: 356، والواحديّ، الوسيط: 2/278.
(8) أبو حيّان، البحر المحيط: 4/530، وابن عطيّة، المحرّر الوجيز: 2/298.

مضمونه، وأنّه بحيث أن يُقال بصيغة لا يشوبها شكّ؛ قطعًا لأطماعهم عن ركونه إليهم[1].

إيثارُ التّعبير بالفعلِ المبنيِّ للمجهولِ:

آثرَ قولُه جلّ شأنُه: ﴿قُلْ إِنِّي نُهِيتُ﴾ التّعبير بصيغة الفعل المبنيّ للمجهول للاستغناء عن ذكر الفاعل؛ لظهور المراد؛ أي: نهاني الله تعالى[2]، فإنّ الاقتصادَ في الألفاظ أنسبُ لما يُقال إعلانًا ومجاهرةً.

علّةُ التّعبير بالنّهي دون النّفي:

النّهيُ أبلغُ دلالةً في النّفي؛ لمَا فيه من زجرٍ وتكليفٍ ودلالةٍ على الوجوبِ

عبّر بالإخبار عنِ النّهي دون النّفي في قولِه جلّ شأنُه: ﴿قُلْ إِنِّي نُهِيتُ أَنْ أَعْبُدَ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾، ولم يقُل: (لا أعبد)؛ لأنّه أبلغُ لما في النّهي منَ الدّلالة على التّكليف[3]؛ إذِ النّهيُ فيه إلزامٌ، ولا يحتملُ الصّدقَ والكذبَ، فكان أبلغَ في الدّلالة على التّوحيد.

فائدةُ الإخبارِ عن نهيِهِ عن عبادةِ غيرِ الله تعالى:

قطعَ اللهُ أطماعَ أهلِ الكفرِ في استمالتِه ﷺ

في قولِه جلّ شأنُه: ﴿قُلْ إِنِّي نُهِيتُ أَنْ أَعْبُدَ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ نَهيٌ عن عبادة غيرِ الله تعالى؛ لأنّه أراد قطعَ أطماعهم في ركونِه ﷺ إليهم، وبيانًا لكونِ ما هم عليه منَ الدّين إنّما هو الهوى والضّلالُ[4].

سرُّ التّعبير بالمصدرِ المؤوَّلِ دونَ الصّريحِ:

تجديد النَّهي عن عبادةِ غيرِ اللهِ تعالى

سيق قولُه جلّ شأنُه: ﴿أَنْ أَعْبُدَ﴾ بتأويل المصدر، والتّقدير: عن عبادة، فوضعَ ﴿أَنْ أَعْبُدَ﴾ مَوضِعَ المصدر[5]؛ لأنّ إظهار الفعل يستدعي الدّلالةَ على الحدوث والتّجدّد، فيتسلّطُ النّهيُ على التّجدّد والحدوث، والمعنى: أنّه نهى عن إحداث العبادة، وتجدّد هذا المنعُ.

(1) الآلوسّي، روح المعاني: 4/159.
(2) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 7/262.
(3) أبو حيّان، البحر المحيط: 4/530، والسّيوطيّ، قطف الأزهار: 2/884.
(4) أبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 3/141، وزاده، حاشية على البيضاويّ: 4/56.
(5) ابن عطيّة، المحرّر الوجيز: 2/298.

إيثارُ التّعبيرِ عنِ الأصنامِ بالاسمِ الموصولِ:

إنـزالُ الخطاب على وَفْقِ مَعهُودِ مُعتقَداتِهم وزعمِهم مُحاجّةٌ لهم

بقوله جلّ شأنُه: ﴿ٱلَّذِينَ تَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِۚ﴾ أراد بـ﴿ٱلَّذِينَ تَدۡعُونَ﴾: الأصنامَ، وعبّر عنها بـ﴿ٱلَّذِينَ﴾ على زعم الكفّار؛ لأنّهم أنزلوها منزلة مَن يعقلُ[1]؛ لأنّه يخاطبُهم فجعل الكلامَ على زعمهم محاجّةً لهم.

إيثارُ التّعبيرِ بلفظِ ﴿مِن دُونِ﴾:

مِن زَيْغِ المُشركينَ عبدوا مُنحطًّا في الرُّتبةِ، ساقطًا في الاعتبارِ

في قولِه جلّ شأنُه: ﴿مِن دُونِ ٱللَّهِۚ﴾ تعبيرٌ عن إشراكهم باللّه تعالى بلفظ ﴿دُونِ﴾، ولم يقل: (من غير اللّه)؛ لأنّه أراد أن يبيّن سُفولَ رُتبتهم، إذ تركوا الأعظمَ، ولزموا الدّونَ[2]؛ استجهالًا لهم، بأنّهم كانوا على غير بصيرةٍ[3].

نُكتةُ فَصلِ الأمرِ الثّاني ﴿قُل لَّآ أَتَّبِعُ﴾ عنِ الأوّلِ:

فَصَلَ الخطابُ جُملةَ النّهيِ عن جُملةِ الأمرِ استئنافًا لبيانِ علّةِ النّهيِ عن عبادةِ آلهتِهم

فَصَل قولَه جلّ شأنُه: ﴿قُل لَّآ أَتَّبِعُ أَهۡوَآءَكُمۡ﴾ عنِ الأمر الأوّل: ﴿قُلۡ إِنِّي نُهِيتُ﴾ للاستئناف البيانيّ؛ إشارةً إلى علّة النّهي[4]، كأنّه قيل: لمَ نُهيتَ عمّا نحن فيه مِن عبادة غيرِ اللّه؟ فأجاب: لأنّ ما أنتم عليه هوًى، ليس بهُدًى، فكيف أتّبعُ أهواءَكم؟![5].

علّةُ تكرارِ الأمرِ بالقولِ مع قُربِ ذِكْرِه:

كـرّر الخطابُ الأمـرَ بالقول اهتمامًا بالمأمور بـه، وإشعـارًا بـاخـتـلافِ المَقولَين

قولُه جلّ شأنُه: ﴿قُل لَّآ أَتَّبِعُ أَهۡوَآءَكُمۡ﴾ قد سُبِق بقوله تعالى: ﴿قُلۡ إِنِّي نُهِيتُ أَنۡ أَعۡبُدَ ٱلَّذِينَ تَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِۚ﴾ فكرّر الأمرَ بالقول مع أنّه قريبُ العهد بالذِّكر؛ اعتناءً بشأن المأمور به، وإيذانًا باختلاف المَقولَيْن، فالنّهيُ مِنَ اللّه تعالى، والنّفيُ منه ﷺ[6]، فكرّر القولَ اهتمامًا بالمَقول، وبيانًا لاستقلاله[7]، ثمّ إنّ تكرارَ هذا

(1) ابن عطيّة، المحرّر الوجيز: 2/298، وأبو حيّان، البحر المحيط: 4/530.
(2) البقاعيّ، نظم الدّرر: 7/132.
(3) أبو حيّان، البحر المحيط: 4/530.
(4) الإيجيّ، جامع البيان: 1/540.
(5) الطّيبيّ، فتوح الغيب: 6/109.
(6) أبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 3/141، والجمل، الفتوحات الإلهيّة: 2/360.
(7) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 7/262.

الأمر ﴿قُلْ﴾ يدلُّ على تكرار محاولات المشركين مع رسول الله ﷺ؛ لاستمالته نحوَهم، ويؤيّدُه ما ورد في سبب نزول سورة (الكافرون) من محاولات المشركين لتمييع الدّعوةِ إلى التّوحيد، واتّباعِ أهوائهم، فنزلت سورة (الكافرون) بصيغة الأمر (قُل)[1]، والتقى مضمونُ المَقول فيها مع مضمون المَقول هنا؛ وهو الثّباتُ على عبادة الله وحدَه.

إيثارُ الجمع على الإفراد في لفظ الأهواء:

إيثارُ جَمعِ الأَهوَاءِ لتعدّدِها في عبادتِهم غيرَ اللهِ تعالى، وتعدّدِ ما طلبُوه

جمعَ قولُه جلّ شأنُه: ﴿قُل لَّآ أَتَّبِعُ أَهۡوَآءَكُمۡ﴾ الأهواءَ لتفرّقِها واختلافِها، فكانت أصنامُهم مختلفةً، وكان لكلِّ عابدِ صنمٍ منهم هوى يخصُّه، فجمعَ الأهواء[2]، ومِن "لوازم اتّباعِها الجمعُ بين النّقيضين، وهو محالٌ"[3]، وليعمَّ عبادةَ الأصنام، وما طلبوه من طرد المؤمنين وغيرِه[4].

والمعنى: لا أتّبعكم فيما طلبتموه من عبادة هذه الأشياءِ، ومِن طَرْدِ مَن أردتم طردَه[5].

بلاغةُ المجازِ المُرسَل ومزيّتُه:

اتّباعُ الأهواءِ نصٌّ على السّببِ الّذي يكمنُ فيه البلاءُ

في قولُه جلّ شأنُه: ﴿قُل لَّآ أَتَّبِعُ أَهۡوَآءَكُمۡ قَدۡ ضَلَلۡتُ إِذٗا﴾ مجازٌ مُرسَلٌ بعلاقة السّببيّة، فلم يقُل: (لا أتّبعكم)؛ للنّصّ على أنّ سببَ نفيه اتّباعَهم أنّهم يتّبعون الهوى؛ واتّباعُ الهوى سببٌ للضّلال، فهو تنبيهٌ على السّبب الّذي حصل منه الضّلالُ[6]، وإشعارٌ بما يوجب النّهيَ والانتهاءَ؛ وهو اتّباعُ الأهواء[7].

(1) النّيسابوريّ، أسباب النّزول، ص: 316.
(2) أبو حيّان، البحر المحيط: 4/530.
(3) ابن عرفة، تفسير ابن عرفة: 2/161.
(4) السّيوطيّ، قطف الأزهار: 2/882.
(5) القرطبيّ، الجامع لأحكام القرآن: 6/437.
(6) الزّمخشريّ، الكشّاف: 2/30، وأبو حيّان، البحر المحيط: 4/530.
(7) أبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 3/141، والآلوسّي، روح المعاني: 4/160.

علّةُ تركِ العطفِ:

كـمـالُ اتّـصـال الجُملتَين يُزيلُ الحواجزَ بينهما فيُترَكُ العطفُ بينهما

تُرك عطفُ جملة: ﴿قَدۡ ضَلَلۡتُ إِذٗا﴾ على ما قبلها؛ لكمال الاتّصال بينهما؛ لأنّ الثّانيةَ بمنزلة التّوكيد المعنويّ لها، فإنّها تؤكّدُ كونَهم في غاية الضّلال، وتحتملُ أن تكون استئنافًا مُعلِّلًا للنّهي عنِ اتّباع أهوائهم؛ أي: إنِ اتّبعتُ أهواءَكم فقد ضَلَلْتُ[1].

نُكتةُ تصديرِ الجُملة بـ (قد):

التّوكيدُ بـ (قد) إشارةٌ إلى تحقُّقِ الوقوعِ

صُدِّرت الجملةُ الثّانية بـ (قد) لتأكيد وقوعِ الضّلال مع كونِه على سبيل الفرْضِ، وليس بواقعٍ، إشارةً إلى أنّ وقوعَه محقّقٌ لو تحقّق اتّباعُه لهم[2].

فائدةُ نفْيِ الاهتداءِ بعد ذكرِ الضّلالِ:

إيـرادُ المعنى إثباتًا، ودفعُ ضدِّه نفيًا؛ لضلال اتّباعِ الهوى تقريرًا وتأكيدًا

قولُه جلّ شأنُه: ﴿قَدۡ ضَلَلۡتُ إِذٗا﴾ هو المعنى ذاتُه في قوله: ﴿وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلۡمُهۡتَدِينَ﴾، فهذه الجملةُ مؤكّدةٌ لقوله: ﴿قَدۡ ضَلَلۡتُ﴾[3]، فأثبتَ الضّلالَ، ونفى الهُدى، مع أنّهما متلازمان للتّقرير والتّأكيد[4]؛ ولبيان شناعةِ اتّباعه أهواءَ المشركين، وآثرَ أن ينفيَ كونَه منَ المهتدين، ولم يقُل: (وما أنا مهتدٍ)؛ لأنّ (هو منَ المهتدين) أبلغُ مِن (هو مهتدٍ)[5]؛ لأنّه أفاد معنى الاستغراق في نفي الهدى[6]، تأكيدًا للنّفي، كأنّه قيل: إنِ اتّبعتُ أهواءكم ضللتُ، وكنتُ مثلَكم متوغّلًا في الضّلال منغمسًا فيه، ولا أكونُ منَ الهدى في شيءٍ، وهو يدلّ على أنّه من زمرة المهتدين المُسهمين فيه[7].

(1) أبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 3/141، والجمل، الفتوحات الإلهيّة: 2/361، والآلوسّي، روح المعاني: 4/160.
(2) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 7/263.
(3) أبو حيّان، البحر المحيط: 4/530، وزاده، حاشية على البيضاويّ: 4/56.
(4) النّيسابوريّ، غرائب القرآن: 3/88 - 89.
(5) زاده، حاشية على البيضاويّ: 4/56.
(6) الطّيبيّ، فتوح الغيب: 6/110.
(7) الشّهاب، عناية القاضي: 4/70.

بيانُ العُدولِ عنِ الجُملة الفعليّةِ إلى الجُملة الاسميّةِ:

الـثّـبـاتُ على الـضّـلال، والـرُّسُـوخُ فيه، علّةُ عدمِ الاهتداءِ

قولُه جلّ شأنُه: ﴿وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلۡمُهۡتَدِينَ﴾ عطفٌ على قوله: ﴿قَدۡ ضَلَلۡتُ إِذٗا﴾، فعدلَ إلى الجملة الاسميّة دون الفعليّة فلم يقُل: (قد ضللتُ ولم أهتدِ)؛ للدّلالة على الدّوام والثّباتِ[1]؛ لعراقتِهم في الضّلال[2]، فهاتان جملتان لنفي الهداية وإثباتِ الضّلال، وجاءتِ الأولى فعليّةً لتدلَّ على التّجدّد، وجاءتِ الثّانيةُ اسميّةً لتدلّ على الثّبوت[3].

والرّسولُ ﷺ قد عصَمهُ اللّه تعالى منَ الضّلال، ولكن جرى هذا الأسلوبُ الافتراضيُّ لتحذير سائرِ المؤمنين منَ الانخداع بوسائلِ المشركين وحيلِهم؛ لاستمالة أهل الحقّ إلى باطلهم، وسبحان علّامِ الغيوب فإنّ أهل الباطل لا يكفّون عن ممارسة تلك الحيَل الخادعةِ عن طريق الإعلام الموجَّهِ، الّذي لا يَفطنُ له إلّا أهلُ اليقظة، والثّابتون على طريق الهدى والحقّ.

(1) أبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 3/141، والآلوسّي، روح المعاني: 4/160، والقنّوجيّ، فتح البيان: 4/152.

(2) البقاعيّ، نظم الدّرر: 7/132 - 133.

(3) أبو حيّان، البحر المحيط: 4/530، والهرريّ، حدائق الرّوح والرّيحان: 8/369.

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد العاشر، سورة المائدة من الآية 107 إلى سورة الأنعام الآية 58
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1445هـ - 2024م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2024م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: سورة المائدة من الآية 107 إلى سورة الأنعام الآية 58 [إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2024.
مج. 10 ، 804 صفحة؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-798-62-0
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 10 : سورة المائدة من الآية 107 إلى سورة الأنعام الآية 58.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن- ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي : 978-9948-798-62-0
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-7560922 بتاريخ 2023/12/18م،
مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»